IX 9Marks سلسلة بناء الكنائس الصحيحة

عضوية الكنيسة

كيف يعرف العالم مَن يُمثّلون الرّب يسوع

جوناثان ليمان

الفصل الأول

لطالما أخطأنا تمامًا في تناول الأمر

"السيادة العليا" [Imperium] اكتشفتُ هذه الكلمة مؤخَّرًا، وهي ليست من تلك الكلمات التي قد تنطق بها في حديثٍ تُجريه مع أصدقائك في أثناء احتساء القهوة. بل هي تبدو كلمة غير ملائمة اجتماعيًّا، لكنّني أظنّها كلمة نافعة.

هذه هي الكلمة الناتجة عن تحويل كلمة "imperial" [ملكي، سلطويّ، إمبراطوريّ]، التي ربّما تسمعها في أحاديث احتساءِ القهوة، إلى اسم. فإنّ الكلمة "imperium" تعني سيادة عليا، أو هيمنة مُطلَقَة. وهي تحوي بداخلها فكرة ذلك الشخص الذي تقع على عاتقه مسؤوليّةُ اتّخاذ القرار في مُجتمعٍ ما. من هي السلطة التي لا بدَّ أن تقف جميع السلطات أمامها لتحاسَب؟ من يمكنه أن يُنزل الحد الأقصى للعقوبات، دون أن يقع تحت تهديد الأخذ بالثأر، لأنّ هذا في نطاق وصف وظيفته؟ ذلك هو الشخص الذي يملك "سيادة عُليا".

هذا هو نوع السيادة التي كانت في يد قيصر روما، وأيضًا ملوك فترة العصور الوسطى الذين كانوا دائمًا يصرخون آمرين: "اقطعوا رؤوسهم!" وفي الأزمنة الحديثة، يمكن أن نقول إنَّ الدولة لها سيادة. فلا سلطة تعلو على سلطة الدولة، وهي المسؤولة عن اتّخاذ القرارات. الدولة وحدها تملك السيادة على الحياة والموت؛ سيادة السيف.

هكذا، إن أردت أن تبدأ تجارةً أو دراسةً، يلزمك أن تحصل على تصريحٍ من الدولة. والأمر ذاته ينطبق على أندية كرة القدم، أو النقابات العماليّة، أو الجمعيات الخيريَّة. فهي موجودة بسماح من الدولة، والدولة هي التي تنظّم عملها. هذه المؤسسات ليست هي التي تنظّم أو تدير الدولة، إذ أنها لا تملك هذه السيادة العليا.

حسنًا، وماذا عن الكنائس المحليَّة؟ هل هي موجودةٌ بسماح من الدولة؟ هذا يأتي بنا إذًا إلى موضوع مشوِّق. بل في حقيقة الأمر، هو موضوع يمكن أن يقلب أفكارنا الحاليَّة عن الكنيسة المحليَّة وعضويّتها رأسًا على عقب.

الرب يسوع يملك السيادة العليا

يُدرِجُ الغالبيّةُ في المجتمعات الغربيَّة الكنائسَ داخل الفئةِ ذاتها لأنديةِ كرة القدم، أو الجمعيات الخيريَّة. فترى مجتمعاتُنا الكنائسَ نوعًا من المؤسَّسات التطوعيَّة.

وفي المقابل نعتبر الكنائس مؤسَّساتٍ خدميَّةً. فهي، نظيرُ حِرفي إصلاح الماكينات، تُصلح نفسك، ونظيرُ محطة الوقود، تملأ خزّانك الروحيّ.

لكن هل الكنائس المحليَّة أنديةٌ أو مؤسساتٌ خدميَّةٌ موجودةٌ بسماحٍ من الدولة، أيّ إنّها متوسِّلٌ آخر يعتمد على رحمة حاكم البلد؟

صحيح أنّك كفرد مسيحيّ ينبغي أن تخضع لسيادة الدولة، لكن تذكَّر أنَّ الدولة هي "خادم" و"وكيل" الله لإيقاع الدينونة (رومية ١٣: ٤). نعم تحمل الدولة "السيف"، ولكن هذا فقط بأمرٍ من الله.

صحيحٌ أيضًا أنَّ الكنائس لا بدَّ أن تلتزم بقوانين البلد حين يتعلَّقُ الأمرُ بالتقيُّد بقواعد البناء (إن كان للكنيسة مبنى)، أو بسداد أيّة ضرائب مُستَحَقة على رواتب العاملين (إن كان لها فريق عمل مدفوع الأجر). ومن تلك الناحيةِ، تشبه الكنيسةُ أيّةَ مؤسَّسةٍ تجاريَّةٍ أو مُنظَّمةٍ أخرى.

في الوقت ذاته، لا بدَّ أن يتَّضح جليًّا أمام ذهن المؤمن أنَّ الكنيسةَ المحليَّةَ ليست موجودةً بسماحٍ من الدولة، بل هي موجودةٌ بتفويضٍ فعليٍّ صريحٍ من الرب يسوع؛ ففي النهاية، الرب يسوع هو من يملك السيادة العليا للكنيسة لا أي شيء آخر.

أن تكون مؤمنًا، فهذا يعني أن تَعْلم أنَّ الرب يسوع وحده هو صانع القرار؛ فهو صاحب السيادة التي لا بدَّ أن تقف أمامها جميعُ السلطاتِ الأخرى لتحاسَب. هو الذي سيدين الأممَ وحكوماتِها. وهو من له السيادة النهائيَّة على الحياة والموت. والدولة موجودةٌ بسماحٍ من الرب يسوع، لا العكس. بالطبع، لا تُقرّ الدولُ عادةً بهذه الحقيقة، لكن الكنائس تعلم أنّها صحيحةٌ (يوحنَّا ١٩: ١١؛ رؤيا ١: ٥؛ ٦: ١٥-١٧).

لقد دُفع كلُّ سلطان في السماء وعلى الأرض إلى الرب يسوع، وهو دَفَعَ إلى كنيسته السلطان كي تذهب إلى الأمم. من ثمَّ، فهي ستتقدّم بقوّة لا يمكن إيقافُها. فإنَّ حدود الدول لن توقفها، وجميع الأحكام الأرضيَّة وكلّ قادة الأرض لن يوقفوها حتى إنَّ أبواب الجحيم نفسها لن تقوى على إبطاء تقدُّمها.

يملك الرب يسوع السيادة العليا.

نحتاج إلى أن نغيّر فكرنا

في حال أُغوينا بالمبالغة في تقدير سلطة الدولة، ينبغي لحقيقة سيادة الرب يسوع العليا أن تُنقِصَ من هذا التقدير. ليست الدولة سوى أحد وكلاء المسيح، وقد أُوكِلَت لها مَهَمَّةٌ مُحدَّدةٌ.

لكن ينبغي لحقيقة سيادة الرب يسوع العليا أن يكون لها التأثير المعاكس في نظرتنا للكنيسة المحليّة: ينبغي أن تزيد هذه الحقيقة من تقديرنا لقيمة

الكنيسة المحليَّة. أيضًا الكنيسة المحليّة هي أحد وكلاء الرب يسوع، وهو دفع إليها سلطانًا لا نملكه أنا أو أنت كمؤمنين أفراد. ولهذا الأمر تطبيقاتٌ جذريّةٌ على ماهيّة الكنيسة المحليَّة، وعلى ما يعنيه أن تكون عضوًا في الكنيسة.

إن كنت مسيحيًّا تعيش في مجتمعٍ غربيٍّ ديمقراطيٍّ، فإنَّ الاحتمالات الأرجح هي أنَّك تحتاج إلى أن تُغيِّر من طريقة تفكيرك في كنيستك، وفي علاقتك بها؛ فعلى الأرجح، أنت تبخس من قدر كنيستك، وتستخفُّ بها، وتُشوِّه من صورتها على نحو يشوِّه من مسيحيَّتك.

جميعنا كنّا نظن أنَّ الكنيسة المحليَّة وعضويّتها شيءٌ، بينما هما في واقع الأمر شيءٌ آخر؛ فكأنّنا كنّا ننظر إلى عائلتنا الأقرب (الأب، والأم، والأبناء)، ونطلق عليهم أعمالاً تجاريَّةً. ولكن ها أنا الآن أقول: "ليس هؤلاء أعمالاً تجاريَّةً، بل هم عائلة! نحتاج إلى أن نبدأ في التعامل معهم على نحوٍ مختلف."

دعوني أحاول في هذا الفصل أن أرسم الصورة الكاملة للأمر من خلال خمس أفكار كبرى، تُبنى جميعها على حقيقة هائلة الضخامة، ألا وهي سيادة الرب يسوع العليا. ثُمَّ سأصرف بقيّة الكتاب مُنظِّفًا الفوضى التي سأحدِثُها هنا: مبرِّرًا، ومفصِّلاً، ومطبِّقًا.

سنبدأ حديثنا بذكر ما هو ليس كنيسةً محليَّةً. إن كنت مؤمنًا، فإنَّ الكنيسة المحليَّة ليست ناديًا، وليست منظّمةً تطوعيَّةً حيث العضويّة أمرٌ اختياريٌّ. كما أنّها ليست جماعةً ودودةً من الناس يشتركون معًا في اهتمامٍ واحدٍ بالأمور الروحيَّة، ولذا فهم يجتمعون أسبوعيًّا للتحدُّث عن الأمور الإلهيَّة.

كما أنَّ الكنيسة ليست مركزَ خدمةٍ، حيث للعميل كلُّ الحقِّ والسلطة. ومن المثير للسخرية أن نتحدَّثَ عن "خدمات" الكنيسة (نعم، أنا أيضًا أفعل هذا). وكما ذكرتُ في ما سبق، يُشبِهُ الأمر أن نطلب من الناس أن يصطفُّوا بسياراتهم داخل

باحة سيارات الكنيسة صباحًا، ليحصلوا على الخدمة التي يريدونها -"اضبط محرّك روحك وحسِّن أداءه في ستين دقيقة!"

ربّما اكتسبنا هذا الفهم عن الكنيسة المحليَّة من التركيز البروتستانتيّ على مكانة الوعظ والفرائض. وربّما احتال علينا المجتمعُ الديمقراطيُّ الغربيُّ كي نعتبر الكنائس جمعيَّاتٍ تطوعيَّةً. وربّما قد توارثنا منذ قرون عادةَ أن نكون مستهلِكين. لستُ متأكِّدًا تمامًا من السبب وراء هذا الفهم. لكن إليك بعض أعراض تفكيرنا الخاطئ:

- يستطيع المؤمنون أن يعتقدوا أنّه من الجيّد حضور الكنيسة إلى أَجَلٍ غير مسمّى دون الانضمام.
- يفكِّر المؤمنون في أن ينالوا المعموديّة بمعزل عن الانضمام.
- يتناول المؤمنون عشاء الرب دونَ الانضمام.
- يَعتَبِر المؤمنون عشاء الربّ الاختبار الشخصيّ والسريّ للمؤمنين، وليس عملاً يقوم به أعضاء الكنيسة المتَّحدون معًا في حياة الجسد.
- لا يدمج المؤمنون حياتهم بقيَّة الأسبوع (من الإثنين إلى السبت) مع حياة قدّيسين آخرين.
- يفترض المؤمنون أنَّهم يستطيعون جعل تغيُّبهم عن اجتماع الكنيسة بضعة آحاد شهريًّا أو أكثر عادةً ثابتةً.
- يتَّخذ المؤمنون قرارات الحياة المصيريَّة (تغيير محل الإقامة، قبول ترقية، اختيار شريك الحياة، إلخ) دون الأخذ في الاعتبار تأثيرات تلك القرارات على عائلة العلاقات في الكنيسة، أو دون استشارة حكمة رعاة الكنيسة أو أعضاء آخرين.

- يشتري المؤمنون بيوتًا أو يستأجرون شققًا سكنيَّةً دون أدنى اعتبارٍ لمدى تأثير عوامل كالمسافة والتكلفة على قدرتهم على خدمة كنائسهم.
- لا يدرك المؤمنون مسؤوليّتهم الجزئيّة عن كلٍّ من الصحَّةِ الروحيّة والمعيشة المادّية للأعضاء الآخرين في كنيستهم، حتى الأعضاء الذين لم يقابلوهم قطّ. حين يبكي أحدٌ، فهو يبكي وحده. وحين يفرح أحدٌ، فهو يفرح وحده.

إنَّ المرض الرئيسي الذي يكمن وراء جميع هذه الأعراض، وهو المرض الذي أُقرُّ بأنّه يجري في عروقي أنا شخصيًّا، هو افتراضنا أنّنا نملك سلطة إدارة حياتنا الروحيَّة بأنفسنا. ومتى أردنا وأينما أردنا، نضمّ جزء الكنيسة إلى المشهد.

هذا يعني أنّنا نتعامل مع الكنيسة المحليّة وكأنّها نادٍ أو جمعيَّةٌ ما، يمكن أن ننضمّ إليها أو لا. ويؤدي بنا هذا الافتراضُ إلى إدارة شؤون حياتنا الروحيّة بمعزل إلى حدٍّ ما عن الكنيسة المحليَّة، حتى إن كنّا بالفعل مُنضمّين إلى كنيسةٍ: "بالطبع أنا عضوٌ، ولكن لماذا بحق السماء قد أطلب من الكنيسة أن تساعدني في التفكير بشأن قبولي أو رفضي لهذه الوظيفة بمدينة ألبيوكارك (في ولاية نيومكسيكو)؟"

أرجو أن تفهمني جيِّدًا، لستُ أشير بأصابع الاتّهام نحوك وحدك، بل هذه أيضًا عاداتي وسلوكيَّاتي الثقافيَّة. أعترف أنّني أريد فعل الأشياء بطريقتي الخاصّة. فإنّني أريد أن أتجنّب تحمُّل المسؤوليّة عن آخرين.

لكن ليست هذه هي الصورة الكتابيّة. نحتاج إلى أن نخلع نظّاراتنا الحاليّة، ونضع نظّاراتٍ أخرى. هل أنت مستعدٌّ؟

السلطة المَلَكيَّة الأعلى على الأرض

ما هي الكنيسة المحليَّة؟ سأذكر بعض الأشياء للإجابة عن هذا السؤال، لكن دعوني أبدأ من هذا التعريف: الكنيسة المحليَّة هي السلطة التي أسَّسها الرب يسوع على الأرض كي تُصدِّق على حياتي وحياتك الروحيَّة، وتُشكِّلها.

مثلما أسّسَ الرب يسوع الدولةَ، هكذا أسّسَ الكنيسة المحليَّة. إنَّها سلطة مؤسَّسيّة، لأنَّ الرب يسوع أسّسها دافعًا إليها سلطانًا. إنّني أبذل هنا أقصى ما في وسعي كي أتجنّب الخوض في حديث حول علاقة الكنيسة بالدولة، لكن إليك ما ينبغي أن تفهمه جيِّدًا إن كنّا سنجري مناقشة تُغيّر النموذج الفكري القديم عن عضويّة الكنيسة:

> "كما يقيم الكتاب المقدّس حكومة دولتك كسيادة عليا على الأرض بالنسبة إليك من جهة كونك مواطنًا في تلك الدولة، هكذا أيضًا يقيم الكتابُ المقدّس الكنيسةَ المحليّة باعتبارها السيادة العليا على الأرض من جهة كونك تلميذًا للمسيح، ومواطنًا في أمَّة المسيح الحاليّة والموعودة."

وهكذا، أسّسَ الرب يسوع الدولة بمنحها سلطة السيف (إنفاذ القانون). وبصورة محدودة، هذا يعني أنَّ الدولة يمكنها أن تنهي حياتك (في خضوع لسلطان كلمة الله). وضمنيًّا، هذا يعني أنَّها تملك آليَّة تطبيق القانون اللازمة لترسيخ كيانات المجتمع وهيكليَّاته الرئيسيّة، مثل تقرير من يُعترَف علنًا بأنّه مواطن.

وعلى نحوٍ مشابهٍ، أسَّس الرب يسوع الكنيسةَ المحليَّةَ بمنحها "سلطة المفاتيح". وبصورة محدّدة، يعني هذا أنّها تستطيع عزل شخص من عضويَّة الكنيسة (في خضوع لسلطان كلمة الله). وضمنيًّا، يعني هذا أنّها تملك آليّة تطبيق القانون اللازمة لترسيخ البِنية والهيكليّات الرئيسيّة لحياة الملكوت، مثل تقرير من يُعتَرَف علنًا بأنَّه عضوٌ.

البحث عن الأشياء الصحيحة

إذًا، بدلاً من أن نبدأ من فكرة كون الكنيسة جمعيّةً تطوعيّةً، نحتاج إلى أن نبدأ من كونها شعبَ مملكةٍ أو أمّة. أترى إذًا ما أعنيه بتغيير الفئة، مثل تغيير التسمية من عمل تجاري إلى عائلة؟

حين يسأل الناس: "أين توجد العضويَّة في الكتاب المقدّس؟" فإنَّ المشكلة تكمن في كونهم يبحثون عن شيءٍ يشبه النادي كي ينضموا إليه، لأنَّ كلمة العضويَّة تتعلّق بفكرة النادي أو الجمعيّة. فإنَّ الأندية، والأحزاب السياسيّة، والنقابات العماليَّة لها عضويات. لكنّك لا تستخدم عادةً كلمة عضويَّة في ما يتعلق بالحكومات ومواطني الدول. فإنّك لا تقول: "كيف حال أعضاء الدولة البريطانيَّة؟ ألم تصلوا في هذه الأيام إلى ما يقرب من ستين مليون عضو؟"

تبدأ الأندية والجمعيات بشيءٍ يكون موضوع اهتمام مشترك بين الأعضاء. وتبدأ المؤسّسات الخدميَّة باحتياجٍ أو رغبةٍ مُشتَرَكةٍ. كلّ هذا موجود في الكنائس، لكن يوجد بها أيضًا ما هو أكثر من هذا: مَلِكٌ يُطالب شعبه بطاعته. تبدأ الكنيسة بهذه الحقيقة: يسوع مُخلِّصٌ وربٌّ، وهو مات على الصليب من أجل خطايا جميع من سيؤمنون به ويتبعونه.

هذا يعني أنّ الكتاب المقدّس لا يتحدّث عن عضويَّة الكنيسة بالطريقة التي تريدها، بل يتحدّث عن كيفيّة اجتماع شعب الله معًا تحت سيادته العليا. فإنّ اهتمامه مُنصبٌّ على مواطني مملكةٍ، لا على أعضاء نادٍ. والأكثر من هذا أنّ الكتاب المقدّس يتحدَّث عن وحدة الكنيسة مستخدمًا بعض الاستعارات والصور الأخرى (العائلة، الكرمة... إلخ). وهذا ينتقل بنا إلى الفكرة الكبرى الثانية:

> "حين تفتح كتابَك المقدّس، توقَّف عن البحث عن إشاراتٍ أو علاماتٍ على وجود نادٍ ما يحوي بداخله أعضاءه المتطوِّعين. بل ابحث بدلاً من ذلك عن سيِّد، وعن شعبه المرتبطين بعضهم ببعض. ابحث أيضًا عن أشكال أخرى من الوحدة (إخوة وأخوات في عائلة، أغصان في كرمة، إلخ)."

هل نجد عضويَّة الكنيسة في الكتاب المقدّس؟ إن كنت تبحث عن الشيء الصحيح، فإنّك ستجده في كلِّ مكان. وسأحاول أن أبيِّن لك هذا في الفصل الثاني، والثالث، والرابع.